جمعية التراث

لتأصيل المواهب الشعرية الجادة

د. محمد الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد بن عبد الله ، المبعوث رحمه للعالمين .

أما بعـــد

فلقد ترك لنا شعراؤنا العرب من لدن العصر الجاهلى وحتى العصر العباسى تراثا شعريا يعد وثيقة حياتية دقيقة لأجيال هذه الأعصر ، ومعلما تاريخيا لطبيعة النفس البشرية الواعية فى مواجهتها للتيارات الفكرية والصراع الحضارى رغبة فى الأفضل وطمعا فى البقاء .

ومما يسترعى الانتباه حقا أن هذا التراث الشعرى قائم على أصول فنية وطاقات تعبيرية ، يقف أمامها المتلقى الذواقه ، والقارىء الحصيف عاجزاً عن تطويقها أو حتى عن استيعابها ذلك الاستيعاب الذى يفض بكارتها ويجعلها لقمة سائغة لكل من تسول له نفسه اقتناصها دون التزود بما يؤهله ليكون جديراً بها .

ولا أحسبنى مبالغا إذا ما قلت: إن هذه الأصول الفنية وتلك الطاقات التعبـــيرية تمثل رافدا من روافد الفصاحة التى من الله بها على العرب وجعلها سمتا خاصا لهم دون غيرهم ، وإلا لما نسب الشاعر العربى القديم إبداعه إلى الشياطين — وقد كانوا ينسبون كل شىء خارق إلى الشياطين لأنهم كانوا يعتقدون حسب زعمهم أن ما يعجز عنه الإنسان لا يمكن حدوثه إلا عن طريق الشيطان — وذلك على نحو قول أحدهم :

إنى وإن كنت صغير السن وكان فى العين نبو عنى
فإن شيطانى أمير الجن يذهب بى فى الشعر كل فن

ووصل بهم زعمهم إلى أن جعلوا الشياطين قبائل ، فشيطان حسان بن ثابت من بنى الشيصبان ، وذلك على حد قوله :

إذا ما ترعرع فينا الغلام فما إن يقال له من هوه ؟
إذا لم يشد قبل شق الإزار فذلك فينا الذى لاهوه
ولى صاحب من بنى الشيصبان فطورا أقول وطورا هوه (١)

وقد ظل الشعر العربى على امتداد هذه الأعصر متمتعا بهذه الأصول وتلك الطاقات تباها بها ، مجسما لها ، وذلك بفضل شعرائه الذين وضعوا نصب أعينهم أشعار من سبقهم مستلهمين لأصولها . . . . مسترفدين لطاقاتها ، واعين لأبنيتها وتراكيبها ، مقدرين ما فيها من جهد فى سبيل تطويع ألفاظ اللغة إلى ما يريده الشاعر ، وحرصه على استثمار خصائص الكلمة ، واعتصار أكبر كمية من الايحاءات الهادفة .

وكان من نتاج ذلك أن شهدت ساحة الناطقين بلغة الضاد على امتدادها المتزامن مع الفتوحات الإسلامية طوال هذه الأعصر شعراء عمالقة ساهموا بإبداعاتهم فى جعل الأدب العربى قمة شامخة ومنارة هادية بين آداب الأمم الراقيه من حولنا .

والباحثون فى تاريخ أدبنا العربى قدامى كانوا أو محدثين ، عربا كانوا أو مستشرقين لم يصلوا إلى طفولة محققة للشعر العربى وإنما كشف لهم بحثهم ونقصيهم الدائب والمستمر عن شعر . . . . زاخر بأسرار الفصاحة متمتع برونق البلاغة لشعراء فحول . . . استمدوا فحولتهم من تراث لم تعرف أصوله بعد .

وهاهم أولاء شعراء العربية الأول ، والذين يعدون أقدم ما وصلت

---

(١) الحيوان جـ٦ صـ ٢٣١

إليه جهود الباحثين يصرحون فى أشعارهم بأنهم لم يتبوءوا . . تلك المكانة السامقة فى ميدان الشعر وقرضه إلا بفضل تتبعهم لآثار السابقين عليهم . وهاهو ذا امرؤ القيس يقول(١) :

عوجا على الطلل المحيل لأننا نبك الديار كما بكى ابن خذام

وهاهو ذا زهير يقول(٢) :

ما نرانا نقول إلا معارا أو معادا من قولنا مكرورا

وعنترة بن شداد يقول(٣) :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

وقد أدرك الشعراء بعامة ، والتواقون إلى الشهرة والتفوق .. بخاصة — وذلك فى كل عصر شهد فيه الشعر تقدما وازدهارا — قيمة تتبع إبداعات السابقين ، بل والمجيدين من المعاصرين لهم ، فانكبوا عليه متذوقين مستلهمين .

ولا نذهب بعيدا إذا ما قلنا: إنه وجد من بين عمالقة الشعر فى عصوره الذهبية الأولى من ثاروا على بعض الأطر والتقاليد للقصيدة العربية كل فى حينه ، وذلك على شاكلة بشار وأبى نواس فى القرن الثانى الهجرى ، إذ دعا كل منهما إلى الخروج بالقصيدة العربية — من إطار الكلاسيكية الجديدة التى شهدتها القصيدة الأموية إلى إطار جديد تكون فيه قادرة على التعبير عن المجتمع الجديد(٤) .

---

(١) ديون امرىء القيس ١١٤ تقديم حسن السندوبى
(٢) ديوان زهير ٩٥ تقديم أكرم البستانى
(٣) ديوان عنترة ٧٣ تقديم فوزى عطوى
(٤) تاريخ الشعر فى العصر العباسى ٧ د/ يوسف خليف

والناظر لشعريهما يجد فيه ما يوحى باعتداد الشاعرين بما ذهبا إليه فى ميدان الشعر ، وهاهو ذا بشار يقول ماذجا واقعه الخلقى المشاهد — بكسر الخاء — باعتداده بذكائه — حسب زعمه — بعامة وما ذهب إليه فى ميدان الشعر بخاصة(١) :

عميت جنينا والذكاء من العمى ... فجئت عجيب الظن للعلم معقلا
وغاض ضياء العين للقلب فاغتذى ... بقلب إذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الأرض لاءمت بينه ... بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

وهاهو ذا أبو نواس يسخر بعنف من تلك المطالع الطلليه للقصيدة العربية وذلك فى قوله(٢) :

عاج الشقى على دار يسائلها ... وعجت أسأل عن خمارة البلد
لا يرقأ الله عينى من بكى حجرا ... ولا شفى وجد من يصبو إلى وتد
دع ذا عدمتك واشربها معتقة ... صفراء تعتق بين الماء والزبد

وفى القرن الثالث الهجرى . تصطدم صيحات الداعين إلى الزخرف اللفظى والعمق العقلى بصيحات الداعين إلى الحفاظ على عمود الشعر وسمته . . . المسطح الواضح ، وكان على رأس التيارين أبو تمام والبحترى .

ثم يطالعنا القرن الرابع الهجرى بشاعره — المتنبى — الذى شغل الوسط الأدبى وما زال — ليدعو إلى عودة القصيدة العربية لروحها البدوى فى غير انفصال عن روح العصر الجديد بما يحمله من ثقافات عقلية فحقق بهذا مزاوجة عبقرية بين بساطة البداوة وصفائها وفطريتها وبين ؟ ثقافة عصره العقلية بقضاياها المعقدة(٣) .

---

(١) الأغانى ٣/١٣٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب
(٢) ديوان أبى نواس ١٨١ تقديم أحمد عبد المجيد
(٣) تاريخ الشعر فى العصر العباسى ٨ د/ يوسف خليف

ومما تجدر الإشارة إليه أن ما نادى به مثل هؤلاء الشعراء ، ودعوا إليه ، قد لاقى قبولا وتقديرا من النقاد المعاصرين لهم والذين وقفوا على نتاجهم من بعدهم ، يتضح ذلك من تلك الألقاب التى أطلقوها عليهم .

فبشار أبو المحدثين ، وأبو تمام زعيم المجددين ، والبحترى زعيم المحافظين ، والمتنبى شاعر العربية الأكبر أو جبار الشعراء .

والواقع ، أن الفضل الأكبر لهذه الزعامات يرجع إلى وقوف هؤلاء الشعراء طويلا أمام تراث سابقيهم مستوعبين هاضمين ، ولولا ذلك لما تمكنوا من أن ينسب إليهم مجد ، أو يضيفوا إلى تراثهم من المضامين الفكرية والقيم الجمالية ما يتفق مع أزمنتهم وتطورها .

وهاهو ذا أبو نواس — يتزود باللغة على يد خلف الأحمر ثم يمضى إلى البادية فيقيم بها حولا كاملا ينهل اللغة من ينابيعها ثم يقبل على دواوين الجاهليين والإسلاميين فيحفظها ، ويقول الجاحظ عنه : ما رأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبى نواس ، ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة الاستكراه . ويقول عنه أبو عمر الشيبانى : لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره لأنه محكم القول(١) .

وهاهو ذا أبو تمام يتجاوز مرحلة التزود والحفظ إلى اختيار أشعار لعدد من الشعراء الجاهليين والإســـلاميين وتدوينها فى كتب خاصة إعجابا بها وجعلها منارة يسير على هـدها الطامحون فى تأصيل ملكاتهم إلا بداعية . فكان منها — الاختيار القبائلى الأكبر — وقد اختار فيه قطعا من محاسن أشعار القبائل ... ومنها الاختيار الذى تلقط فيه محاسن شعر الجاهلية والإسلام وأخذ من كل قصيدة شيئا حتى انتهى إلى إبراهيم بن هرمة .

---

(١) الشعر العباسى تطوره وقيمه الفنية ٣٢ د / محمد أبو الأنوار

وهو اختيار مشهور معروف بـ « اختيار شعراء الفحول » ومنها اختيار تلقط فيه أشياء من الشعراء « المقلين والشعراء المغمورين غير المشهورين وبوبه أبوابا وصدره بما قيل فى الشجاعة وهو أشهر اختياراته وأكثرها فى أيدى الناس ويلقب بـ « الحماسة » ومنها « اختيار المقطعات » وهو مرتب على ترتيب الحماسة إلا أنه يذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء والمتأخرين وصدره بذكر الغزل ، ومنها اختيار مجرد فى أشعار المحدثين(١) وعلى منوال أبى تمام نسج البحترى فجمع مختاراته المعروفة بـ « حماسة البحترى . معجبا ومرشدا .

لذا لا نعجب من أن تحرم ساحة الشعر العربى لقرون طوال عقب انهيار الخلافة العباسية من شعراء نابهين لأسباب شتى تكاتفت جميعها لقطع صلة الشعراء بينابيع الشعر الأصيلة انقطاعا أفسد أذواقهم وأخمد قرائحهم فعمت فى أشعارهم التعبيرات الركيكة المبتذلة والمعانى السقيمة والأساليب الملتوية ، وتحول الإبداع الشعرى إلى نوع من المهارات اللفظية المصطنعة والألغاز واللعب بالكلمات ، حتى وصل إلى مرحلة من الإنحدار جعلت الكثيرين من المهتمين بالأدب العربى والغيورين عليه يعتقدون أن العودة بالشعر إلى عصوره الأولى والتى عرف فيها بقوة نسجه ومتانة تراكيبه ضرب من الوهم والخيال ، فما كان من « البارودى » إلا أن فاجأهم بما لم يكن فى الحسبان — إذ وثب بالعبارة الشعرية وثبة واحدة من طريق الضعف والركاكة إلى طريق الصحة والمتانة وأوشك أن يرتفع هذا الارتفاع بلا تدرج ولا تمهيد كأنه القمة الشاهقة تنبت فى متون الطود عما قبلها فينقطع بينها وبينه طريق الوصول إلا أن تستدير لها من القمم التى تليها وتقرب منها ، فإذا أوسلت بصرك نحو خمسمائة سنة وراء عصر

---

(١) السرقات الأدبية ٤٥ د بدوى طبانة .

البارودى لم تكد تنظر إلى قمة واحدة تساميه أو تدانيه ، وكنت كمن يقف على رأس الطور المنفرد فلا يرى أمامه غير التلال والكثبان والوهاد إلى أقصى مدى الأفق البعيد(١) .

وشىء طبعى أن تشهد الساحة الأدبية آنذاك الكثيرين من المعجبين بصنيع البارودى وبخاصة هؤلاء الذين سيطر عليهم القلق والفزع على الأدب ولغته ، فها هو ذا شكاب أرسلان أحد الأدباء اللبنانين يعبر عن إعجابه بصنيع البارودى حينما قرأ شعره بقوله :

فلما قرأنا شعر محمود سامى سكرنا بأدبه ورقصنا على سبقه وبعث لنا نشأة روحية لم نعهدها فى أنفسنا من قبل أن عرفناه وعلمنا أن فى المعاصرين من قدر أن يضارع الأولين وأن يسامى بنفسه أنفاسهم(٢) .

ويعلق د / سامى الدهان على شدة إعجاب شكيب بشعر البارودى وخلفه لشتى الحيل والوسائل التى تمكنه من الاتصال به فيقول :

واعترف بأنه كان يتلو شعر البارودى كل يوم بعد تلاوة كتاب الله ويترنم به فى نجواه ويجعله نقل أسماره وغبوق ليله وصبوح نهاره فما لبث أن أهتدى إلى وسيلة يبلغ بها مراسلته وهو أن يستشهد بشعره فى مقالاته التى كان ينشرها فى الأهرام بذكر اسمه وبغير ذكره مرة أخرى ونعته بلقب أمير الشعراء(٣).

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم ص ١٣١ وما بعدها عباس محمود العقاد
(٢) شوقى أو أصداقه أربعين عاما ١٠١ شكيب أرسلان
(٣) الأمير شكيب ١٤٥ د/ سامى الدهان

ومما قاله الأديب — خليل مطران — ولا ننسى له أى للبارودى فضلا جديرا بالذكر الخاص وهو أنه أول شعراء البعثه الحديثة بمعنى أنه أول من رد الديباجة إلى بهائها وصعائها القديمين ، وما أبز فريضة لقريض جيله ، فإنك لتجد الواحدة من قصائده ذاهبة صعدا إلى أرقى أزمنة العرب فهى كالجبال الشامخة وحولها القصائد الأخرى كالأركان المقامة من حجارة أطلال بلا اختيار ولا نسق ولا هندام(١).

على أن البارودى لم يتبوأ هذه المكانة فى دنيا الشعر إلا لإصابته فى اختيار طريق الشهرة والتفوق المتمثل فى دواوين الشعراء من لدن العصر الجاهلى حتى العصر العباسى ، حيث تتبع مراحل تطورها ومارافقها من أزياء وتقاليد فى الأسلوب والمعانى والأغراض والموسيقى والصور والنظم على غرارها حتى تمكن من توطيد الصلة بيننا وبين شعراء هذه الأعصر وجعلنا نعيش وكأنما حياتهم لم تنقطع عنا .

وقد أشار البارودى إلى هذه الحقيقة كثيرا فى شعره مع حرصه على أن يبين أنه لم يكن يوقا لهؤلاء الشعراء فى تلك العصور فحسب وإنما كانت له شخصيته الشاعرة والكاشفة عن رؤيته الخاصة للحياة والأحياء وذلك فى مثل قوله(٢) :

مضى «حسن» فى حلبـــة الشعر سابقا
وأدرك لم يسبق ولم يأل «مسلم»

وباراهما « الطائى » فاعترفت له
شهود المعانى بالتى هى أحـــكم

---

(١) المجلة المصرية العدد الرابع ٤٣٥
(٢) ديوان البارودى جـ٣ ٤٢٩ وما بعدها

وأبدع فى القول «الوليد» فشعره

على ما تراه العـــين وشى منمنم

وأدرك فى الأمثال «أحمد» غاية

تبز الخطى ما بعدها متقـــدم

وسرت على آثارهم ولربما سبقت إلى أشياء والله أعلم

وحق له أن يفخر بعمله هذا ويتبه على شعراء عصور مضت ضلوا طريق الأصالة والإبداع الجيد فوأدوا مواهبهم البكر وقدموا حياتهم قربانا لزوايا الإهمال ومرارة النسيان وذلك على نحو قوله(١) :

أحييت أنفاس القريض بمنطقى

وصرعت فرسان العجاج بلهذمى

وقوله(٢) :

قومته بعد اعوجاج قناته . والرمح ليس يروق غير مقوم

ولم يقف البارودى عند حد تتبعه لتراثنا الشعرى فى عصوره الزاهية والوقوف على أسراره مستلهما مستفيدا وإنما أراد أن يفيد غيره — فاختار ثلاثين ديوانا لثلاثين من الشعراء العباسيين يبدءون ببشار بن برد ويتهون بشرف الدين أبى العباس بن عنين، وانتخب من هذه الدواوين مارق لفظه ودق معناه وخلا من الحشو والتعقيد مرتبا ذلك على سبعة أبواب : الأدب — المدح — الرثاء — الصفات — النسيب — الهجاء — الزهد(٣) .

وقد أراد البارودى من وراء ذلك — أن يتحف الأدباء من أهل عصره

(١ ، ٢) ديوان البارودى جـ ٣ ص ٤٨٧ وما بعدها

(٣) مقدمة مختارات البارودى ٣

بمجموعة مختارة من شعر فحول الشعراء المولدين لتكون عونا للناشئين على طبع ملكة البلاغة(١).

أضف إلى هذا تشجيعة لإقبال الشعراء عليه فى بيته حتى بعد عودته من منفاه وقد ضعف جسمه ووهن نشاطه وذهب نور عينيه أو كاد ، يقول د/ عبد الحميد الجندى :

وكان حافظ إبراهيم يذهب إلى أستاذه — يعنى البارودى = فى داره الفسيحة بخيط العدة بالقرب من باب الخلق بعد أن آب من منفاه وهناك كان يلتقى بلفيف من شباب شعراء ذلك العهد فيتحلقون حول أستاذهم العظيم ويعرضون عليه ما أنتجته قرائحهم ، وكان الأستاذ لا يضن عليهم بتوجيهاته الغالية(٢) وذلك رعبة منه فى تبصير المواهب الشابة نحو الطريق السوى لتأصيل الملكات الإبداعية وقدرتها على استلهام الماضى فى التعبير عن إيقاع عصرها .

ومن هذا المنطلق فإنه يمكن القول : إن البارودى فتح لمعاصريه من الشعراء النابهين أهم روافد التألق والنجومية وبدلا من أن يقفوا عند حد تراثهم اتجه الكثيرون منهم إلى الجمع بينه وبين آداب الأمم الأخرى فأضافوا إلى الشعر العربى ما جعلهم فى سجل الخالدين .. وها هو ذا شوقى على سبيل المثال يمزج بين استيعاب للتراث العربى وآداب الأمم الأخرى وبخاصة الأدب الفرنسى ، فيضيف إلى شعرنا مالم يكن يعهده من قبل ، وقد تمثل ذلك فى مسرحه الشعرى هذا فضلا عن تجديده فى جوانب كثيرة من الشعر من حيث بناء القصيدة وتكوين الصور الشعرية ، ومما قاله د/ طه حسين فى هذا الصدد : كان شوقى يحسن التركية وكان متقنا للفرنسية قد يرع فيها نطقا وفهما ، وكان أول أمره كثير

---

(١) مقدمة مراثى الشعراء ٢٢ خليل مطران

(٢) حافظ إبراهيم شاعر النيل ٩٢ د/ عبد الحميد الجندى

القراءة حريصا على الفهم فقرأ كثيرا ، وتمثلت نفسه ما قرأ وما فهم . وانضم إلى هذه العناصر التى كانت تركب طبيعته عنصر جديد هو العنصر الفرنسى الذى عمل فى عقله وخياله ومزاجه كله ونمت العناصر الأخرى بالقراءة والحياة ، عاشر شوقى العرب فى شعرهم وأدبهم فعظم حظه من العربية ، وعاشر الترك فى حياته اليومية واتصل بهم أشد اتصال فعظم العنصر التركى فيـــه ، ولسوء حظ الأدب الحديث لم يعاشر شوقى قدماء اليونان كما عاشر قدماء العرب ولو قد فعل لأهدى إلى مصر شاعرها الأكبر »(١) .

وقد حدث أن وجد أدباء جمعوا بين الشعر والنقد فكانت لهم إبداعاتهم الشعرية ونظرياتهم النقدية وغالباً ما كانت نظرياتهم هذه تنسم بطابع التمرد على بنية القصيدة التراثية وما جاء عـلى غرارها من أشعار المعاصرين لهم ، إلا أن هؤلاء الأدباء لم يغفلوا عن إلمامهم بالتراث شأنه فى ذلك شأن اهتمامهم بآداب الأمم الأخرى والتى كانت تعد محركا أساسياً فى تكوين نظرياتهم النقدية .

وهاهم أولاء عبد الرحمن شكرى ، وعبد القادر المازنى ، وعباس محمود العقاد يحاولون التجديد فى الشعر العربى ليكون مسايراً لما درسوا من آداب الأمم الأخرى وبخاصة الأدب الانجليزى وجعلوا من اتجاههم هذا مدرسة نقدية إبداعية أطلق عليها مدرسة الديوان ، ومع ذلك احتل تراثنا الشعرى جزءاً كبيراً من مكونات مواهبهم النقدية وملكاتهم الإبداعية .

فالمازنى — على سبيل المثال — نرى فى شعره نظرته السوداء إلى الحياة وتذبذبه بين الإقبال عليها والنفور منها ، كما نرى فيه استخفافه بالحياة والاحياء وتهكمه من كل شىء وسخريته بكل شىء وذلك لا يمكن أن نجعلنا نغض الطرف عما يحتويه من تقليد ومحاكاة ، فنحن نرى أن المازنى على

---

(١) حافظ وشوقى ٢٠٠ د / طه حسين .

الرغم من تجديده ، وعلى الرغم من تطويعه الشعر لوجدانه يقلد شعراء بعينهم ، فنجده يحاكى « ابن الرومى » بل نجده يعارضه فى قصيدتين من مطولاته هما الهمزية ، والنونية مع أن المازنى قد صرح فى أكثر من موضع أن التشطير والمعارضة لاعلاقة لها بالشعر الأصيل ، ولكنها تدريب على النظم فحسب ، ونجده كذلك يحاكى مقطوعات مشهورة للشريف الرضى ، والحق أنه تأثر بهذا الشاعر وكان يعود إلى شعره بين الفترة والفترة(١).

ويفسر — العقاد — مر اتكاء المبدعين الواعين على نتاج سابقيهم والمجيدين من معاصريهم تفسير المبدع الحصيف والذواقة الماهر فى استثمار نتاج غيره والوصول به إلى أرقى مستوى من العمق والنضج وذلك حينما سئل ، لماذا يهوى القراءة ؟ فأجاب :

أهوى القراءة لأن عندى حياة واحدة فى هذه الدنيا ، وحياة واحدة لاتكفينى ولا تحرك كل مافى ضميرى من بواعث الحركة ، والقراءة دون غيرها هى التى تعطينى أكثر من حياة واحدة فى مدى عمر الإنسان الواحد لانها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق وإن كانت لاتطيلها بمقادير الحساب ، فكرتك أنت فكرة واحدة ، شعورك أنت شعور واحد ، خيالك أنت خيال فرد إذا قصرته عليك ، ولكنك إذا لاقيت بفكرتك فكرة أخرى أو لاقيت بشعورك شعوراً آخر ، أو لاقيت بخيالك خيال غيرك ، فليس .. فصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين أو أن الشعور يصبح شعورين أو أن الخيال يصبح خيالين ، كلا وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقى مئات من الفكر فى القوة والعمق والامتداد ، وأن الفكرة الواحدة جدول منفصل أما الأفكار المتلاقية فهى المحيط الذى تتجمع فيه الجداول جميعاً(٢)

لذا لم يكن بدعاً أن يفتتن العقاد بصنيع البارودى فى اتجاهه إلى

---

(١) مجلة الهلال عدد سبتمبر ١٩٧١

(٢) ساعات من حياتى : ٢٠١ طاهر الطناحى

التنقيب عن تراثنا الشعرى وإحيائه وأن يتجه هو الآخر إلى السير على نمط شعراء العربية النابهين فى كثير من نظمه فله على سبيل المثال قصيدة نونية نظمها على نمط قصيدة لابن الرومى وله قصيدة خمرية نظمها على نمط ابن الفارض .

ومما تجدر الإشارة إليه أن شعراءنا العرب الذين هاجروا بعيدا عن ساحة الأدب العربى وكونوا الرابطة القلمية ثم العصبة الأندلسية وتميزوا بطابع خاص فى أشعارهم لم تلههم ثقافات الأمم التى نزحوا إليها من الوقوف على أسرار التراث الشعرى العربى والاستفادة منه ، يدلنا على ذلك نتاجهم الشعرى واحتفاؤهم بالعباقرة من الشعراء العرب التراثيين .

فها هو ذا — إلياس فرحات — لم يخل شعره من خطرات الحكمة والمثل يرسلها فى خلال القصيدة وتكثر هذه الظاهرة فى شعر فرحات كثرة تذكرنا بالحكم والأمثال فى شعر المتنبى (١) .

وذلك فى مثل قوله داعيا إلى الإصلاح الإجتماعى بعد أن لعب شيطان الإستعمار دوره الآثم فى نشر الفساد بين أبناء البلد الواحد (٢) .

من ربى لبنان يعلو صوت أحرار البلاد
إن مر الموت يحلو فى سبيل الإتحاد

لا تطيق الشام ضيما من عتاة معتدين
فرقوا الإخوان كيما يستمروا حاكمين

ليس لبنان المفدى غير صدر للشآم
لا يقيم الدين حدا بين إخوان كرام

---

(١) أشعار وشعراء من المهجر ٩٢ محمد عبد الغنى حسن .
(٢) تاريخ الشعر العربى الحديث ٣٢٢ ، ٣٠٥ أحمد قبش .

وها هو ذا — إيليا أبو ماضى — يذكرنا بأبى العلاء المعرى ووقوفه متأملا فى أصل الوجود وذلك فى قصيدته ، لست أدرى، ومما قاله فيها (١) :

كلما أيقنت أنى قد أمطت الستر عنى
وبلغت السر سرى ضحكت نفسى .. منى
قد وجدت اليأس والحيرة لكن لم أجدنى
فهل الجهل نعيم أم جحيم : لست أدرى
إننى جئت وأمضى وأنا لا أعلم
أنا لغز وذهابى كمجيئى طلسم
والذى أوجد هذا اللغز لغز مبهم
لا تجادل ! ذو الحجا من قال إنى : لست أدرى

وها هى ذى العصبة الأندلسية تقيم فى عام ١٩٣٥ م مهرجانا تذكاريا لمرور ألف سنة على وفاة المتنبى (٢) وقد قامت هذه العصبة آملة — فى تجديد طبيعة الشعر العربى ولكن فى هدوء وفى غير ما عنف أو ثورة كما أنها لم تجعل من أهدافها قطع الصلة تماما بين الشعر الحديث والشعر العربى القديم بل كانت على العكس من ذلك راغبة فى بقاء شىء من القديم يصل الماضى بالحاضر ولا يقطع العرب عن التراث الفكرى لآبائهم الأقدمين (٣) .

ولعل فيما قدمت ما يؤكد أهمية التراث الشعرى ومواكبته لكل تيار تجديدى فى ميدان الشعر حتى تتحقق للشاعر أصالته ونجو مبته دونما أى اكتراث بتلك الدعاوى الهادفة — بقصد أو بغير قصد — إلى تحطيم

---

(١) تاريخ الشعر العربى الحديث ٣٢٢ ، ٣٠٥ أحمد قبش .
(٢) التجديد فى شعر المهجر ٥٢ د / محمد مصطفى هدارة .
(٣) المجلة — عدد أكتوبر ١٩٦٣ .

تراثنا ومقومات لغتنا والتى اشتدت حدتها منذ أواخر العقد الخامس من القرن العشرين ودلك على شاكلة ما نشره — لويس عوض عام ١٩٤٧ م تحت عنوان « حطموا عمود الشعر » ، حيث أكد — حسب زعمه — أن الشعر العربى قد مات وأن من يشك فى هذه الحقيقة فليقرأ جبران ونواجى وأمثالهما ، أما شعائر الدفن فقد قام بها أبو القاسم الشابى ، وإيليا أبو ماضى ، وطـــه المهندس ، ومحمود حسن اسماعيل ، وعبد الرحمن الخميس ، وعلى باكثير (١) .

والواقع أن مثل هذا الادعاء قد لاقى قبولا من بعض الذين خرجوا على نظام القافية فى الشعر ، وخيل إليهم أن طـــريق الشهرة إنما هو فى استدبار الماضى لأنهم يعيشون حساسية جديدة فى الشعر لا يمكن أن تنمو وتؤتى أكلها إلا بنبذ التراث والإقبال على المترجم من آداب الأمم الأخرى ، فضلوا وأضلوا وأتوا بألغاز وأحاج وشعوذة لفظية وتعقيدات معنوية أصابت التيار الشعرى العام بالضمور والقصور ، وأصبح الشعر مهنة من لا مهنة له .

ولو فطن هؤلاء إلى صنيع رواد حركتهم الشعرية مع التراث لتبين لهم ، أنهم كانوا ولا يزالون على صلة وثيقة به ، فنازك الملائكة — التى تعد الرائدة الأولى لحركة الشعر الحر عند الكثيرين من النقاد والمؤرخين — لم تغفل تراثها الشعرى ولم تتخل عن الشطرين .

وهاهى ذى تقول من إجابة على سؤال وجه إليها : إن هناك فرقا بينى وبين شعراء الشعر الحر ، هو أنهم تركوا شعر الشطرين تركا تاما ، وكأن أوزانه تهيئهم ، وهذا يخالف موقفى ، فأنا لم أترك شعر الشطرين الخليلى فى أية فترة من حياتى الشعرية ، وإنما مضيت أستعمل الشكلين معا حسب

---

(١) آفاق عربية عدد يوليو ١٩٧٥ — « مجلة » .

الحاجة الفنية للقصيدة وذلك واضح حتى فى « شظايا ورماد » — اسم ديوان لها — الذى بدأت به الدعوة الحارة إلى الشعر الحر عام١٩٤٩م(١).

وهاهوذا صلاح عبد الصبور يعكف عامين كاملين على التراث الشعرى العربى يقرؤه ويتمثله ويعجب بأصوات منه ويرفض أصواتا أخرى ،وهاهو ذا أدونيس فى سوريا يعكف طويلا على الشعر العربى فى مختلف عصوره وينتخب لنا منه مختارات ينشرها فى ثلاثة مجلدات ضخمة تحت ... عنوان ديوان الشعر العربى . وغيرهما كثر قاموا بالصنيع نفسه أو قريب منه(٢)

هذه ناحية ، وناحية أخرى أن هؤلاء الذين ضلوا وأضلوا لو تأملوا التراث الشعرى من لدن العصر الجاهلى وحتى العصر العباسى وما جاء بعده من شعر اعتمدت أصوله وطاقاته ومتطلبات حينه على التراث استلهاما واستر فادا لعلموا أنهم ليسوا بدعا فى امتلاكهم لحساسية شعرية جديدة ، وإنما وجدت حساسيات شعرية — حسب اطلاقهم — منذ العصر الجاهلى، وذلك بدءا من زهير بن أبى سلمى ومدرسته ومرورا على بشار وأبى نواس ثم أبى تمام والبحترى والمتنبى وأبو العلاء ثم البارودى وشوقى وروادمدرسة الديوان ، وجماعة أبولو ، وغيرهم . إلا أن هـذه الحساسيات أضافت إلى الشعر من القيم الجمالية والمضامين الفكريه مايؤكد صلتها بالماضى ، ويوثق مسايرتها للحاضر .

وبون شاسع بين استراتيجية هذه الحساسيات وتلك الحساسية .. التى يعيشها كثير من متشاعرى اليوم والأمس القريب .

والمتتبع لتصريحات رواد هذه الحركة الشعرية بشعر بنوع من الإحباط

---

(١) آفاق عربية عدد يوليو ١٩٧٥ — « مجلة »

(٢) استدعاء الشخصيات التراثية ٣٢ د/ جلال العشرى

واليأس قد سيطر عليهم نتيجة ما أصاب حركتهم من إسفاف وابتذال فى مبناها ومحتواها على أيدى من خدعوا فى تحلل هذه الحركة من إطلالة القافية، وما علموا أنه مازالت ضوابط ونظم — لايكون الفن فنا إلا بها — فى داخل النتاج الشعرى نفسه لايستطيع تحقيقها إلا من ملك أدوات الشعر وعمله .

ومما قالته — نازك الملائكة — ردا على سؤال يدور حول أسباب الابتذال فى الشعر الحر وما فيه من غموض وتعمية .

أما أسباب الابتذال فى الشعر الحر فتكمن فى جهل كثير من الشعراء للغرض منه ، يضاف إلى ذلك أن هؤلاء الشعراء لا يعرفون شيئا عن أوزان الشعر العربى ، فهم يخرجون على الوزن فى شعرهم الحر دون أن ينتبهوا أو يلاحظوا ، فضلا عن أنهم يقحمون فى شعرهم تشكيلات وزنية غير منسجمة مثل الخلط بين «متفاعلن فعلن» و «متفاعلن متفاعلاتن» وبينهما . بون شاسع يجعل شعرهم قبيح الوقع فى السمع العربى المدرب ، وأبرز عيوب شعرهم الحر أن فيه تقليدا كبيرا يقلد الواحد منهم الآخر فى الصور والأفكار والبناء ظانا أنه يأتى بشعر رائع مع أن شعره مهلهل ضعيف ، ومن الابتذال عندى أن يظن هؤلاء الشعراء أن شعر الشطرين قد مات إلى غير رجعة وأن المستقبل كله لشعرهم الحر ، فالواقع أن الشعر الخليلى لن يموت مطلقا وأن له مستقبلا عظيما يكتمل حين ينضج الشعر فى عصرنا .

ثم تقول : ليس الغموض إلا ظاهرة من ظواهر التقليد ، يقلد الشاعر الحديث ما يقرأ من شعر غربى ، وأنا أحب الشعر الانكليزى والفرنسى وأجد لذة عميقة فى قراءتهما غير أنى أمقت أن يقلد شعراؤنا هذا الشعر (١)

ومما قاله الشاعر البياتى : إننى أتساءل ما الذى حفقه هؤلاء على صعيد

---

(١) آفاق عربية عدد يوليو ١٩٧٧ « مجله »

الأشكال الشعرية خاصة الشعراء الذين جاءوا بعد جيل الرواد ، لقد غرق معظمهم فى الرمال المتحركة للترجمات الشعرية من آداب الأمم الأخرى ، واستعاروا لغتها وأزياءها وبيانها وبديعها، بل يبدو لى أحيانا أن الغموض الناتج عن قصور فى الرؤية وعجز فى الأدوات الفنية أصبح يدعت بأنه محاولة ... إيجاد أشكال جديدة .

كما أتساءل من جديد : من هو الذى يستطيع إيجاد أشكال شعرية جديدة ؟ هل هو الشاعر المبتدىء الذى لايحسن حتى استخدام لغته التى يكتب بها ؟ قلت منذ البداية : إن إيجاد أشكال شعرية جديدة هو نتيجة من نتائج ثورة المضمون . ولا يمكن أن تتأتى مثل هذه المحالات إلا لشاعر مبدع أصيل وليس لكل من هب ودب (١)

لذا فإنا نناشد هؤلاء الذين أقحموا أنفسهم فى دنيا الشعر أو تجنوا على مواهبهم بانحرافهم عن طريق الجادة والصواب قائلين لهم :

أقبلوا على أدبكم العربى بعامة وتراثكم الشعرى بخاصة ،متتبعين لقيمة .. الجمالية وأصوله الفنيه وطاقاته التعبيرية وقدرته على مواكبة ما يطرأ على مسرح الحياة من تطور فكرى نتيجة تفاوت الأزمنة وتباين الأمزجة .. لتتهيأ لكم القدرة على الإبداع الجيد ،وإن كان لابد من آداب الأمم الأخرى فليس هناك مايحول دون الإقبال عليها سوى إغفال خصائص الأجناس ، والمواءمة بينها وبين قيمنا وأذواقنا ، ولكم فيمن سبقكم من عمالقة الشعر الذين جمعوا بين التزود من أدبنا العربى وآداب الامم الاخرى القدوة والمثل، وبذلك نقدر تراثنا تقدير آداب الامم الاخرى لتراثها ونصل إلى ما نريده من أصالة وإبداع ... خلاق

---

(١) قضايا الشعر الحديث ٢١١ جهاد فاضل

ولقد وقع من نفسى ماقاله « جوستاف لانسون » من مقال عن منهج دراسة الأدب موقع القبول والرضا إلى حد كبير إذ يقول : نحن نسعى إلى تحديد أصالة الافراد أى الظواهر الفردية التى لاشبيه لها ولا تحديد ولكن مهما يكن الأفراد من العظمة والجمال ، فإن دراستنا لايمكن أن تقتصر عليهم ، وذلك أولا لأننا لن نعرفهم إذا لم نرد أن نعرف غيرهم فأمعن الكتاب أصاله إنما هو إلى حد بعيد راسب من الأجيال السابقة وبؤرة للتيارات المعاصرة وثلاثة أرباعه مكون من غير ذاته فلكى نجده لابد وأن تفصل عنه كميات كبيرة من العناصر الغريبة ، يجب أن نعرف ذلك الماضى الممتد فيه وذلك الحاضر الذى تسرب إليه . (١) ولا يختلف الشاعر عن الكاتب فيما ذهب إليه — جوستاف لانسون — من تحديد لماهية الاصالة .

---

(١) النقد المنهجى عند العرب ٤٠٠ د/ محمد مندور